مقتطف

تنشر «العربي الجديد»، على دفعات، ترجمة الشاعر والروائي والناقد الفلسطيني محمّد الاسعد لكتاب «مدن غير مرئية» للإيطالي إيتالو كالفينو. يعدّ العمل من آخر ما ترجمه الاسعد، وقد حال رحيله المفاجئ، الشهر الماضي، دون نشره في كتاب حتى الآن

إيتالو كالفينو

مفتتح

لا يصدّق قبلاي خان بالضرورة كلّ شيء يقوله ماركو بولو حين يصف المدنَ التي زارها في جولاته الاستكشافية، إلا أن إمبراطور التتار يواصل الإصغاء إلى الفينيسي الشاب بانتباه وفضول أعظم مما يُظهر لأي رسول آخر من رسله أو مستكشفيه. في حياة الأباطرة، هنالك لحظة تتبع الزهوّ بالاتساع اللامحدود للأراضي التي غزوناها. وبعد راحة وكآبة معرفة أننا سرعان ما سنتخلى عن أي تفكير بمعرفتها وفهمها. هنالك إحساس بالفراغ يطغى علينا مساءً، مع رائحة الفيلة بعد المطر، ورماد خشب الصندل وهو يبرد في المجامر، دوارٌ يجعل الأنهار والجبال تهتزّ على منحنيات خرائط الكرة الأرضية السمراء الضاربة إلى الصفرة حيث ترسم مصوّرة، وتُجمع واحدة بعد أخرى تتوالى الرسائل معلنة لنا انهيارَ آخر قوّات العدو. من اندحار الى اندحار. ويُقشّر شمع أختام رسائل ملوك مغمورين بلتمسون حماية جيوشنا، مقدمين في المقابل اتاوات سنوية من معادن ثمينة وجلود مدبوغة وأصداف

مدنٌ غير مرئية

الرغباتُ الآن ذكريات

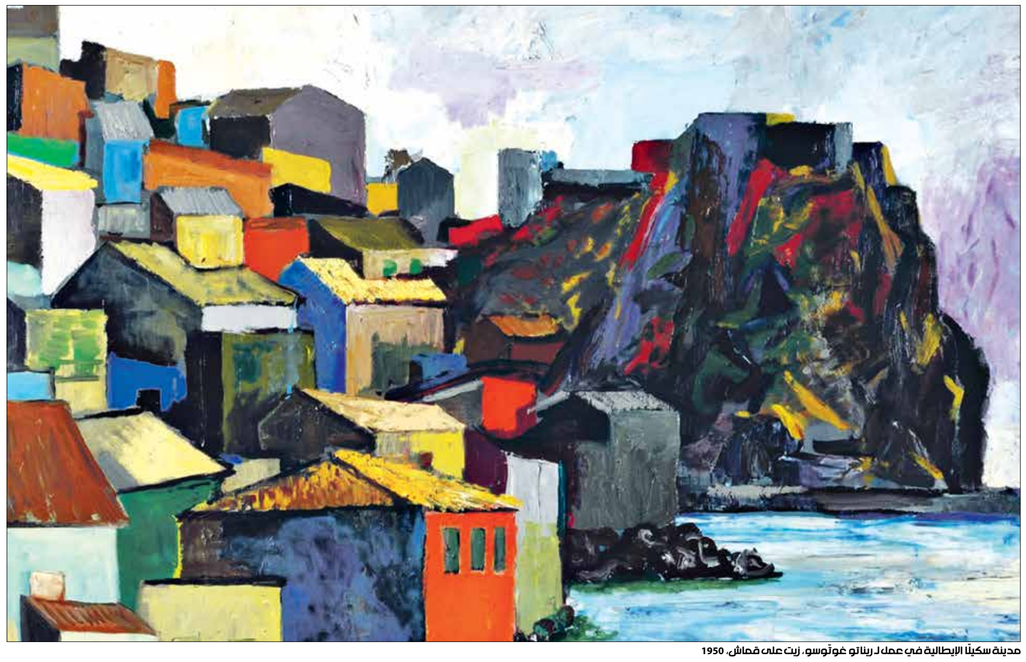

مدينة سكيتا الإيطالية في عمل لـ ريناتو غوتوسو. زيت على قماش، 1950

سلاحف. إنها لحظة القنوط حين نكتشف أن هذه الإمبراطورية، التي بدت لنا خلاصة كل الأعاجيب، ما هي إلا خرابٌ لا شكلَ له ولا حد، أن غنغرينا الفساد تنتشر إلى مدى يفوق قدرة صولجاننا على علاجها، أن الانتصار على الملوك الأعداء جعلنا ورثة خرابهم الطويل. في تقارير ماركو بولو وحدها كان قبلاي خان يستطيع أن يميّز، خلال القلاع والأسوار التي قدّر لها أن تتفتت، زخرفةَ شجرية لمخطط بلغ من الرهافة حداً قد يمكّنهُ من النجاة من قضم النمل الأبيض.

مدن وذاكرة (1)

حين تغادر، وتواصل السيرَ طيلة ثلاثة أيام نحو الشرق، تصل إلى ديومييرا، مدينة بستّين قبّة فضية، بتماثيل برونزية لكلّ الآلهة، بشوارع مرصوفة بالرصاص، بمسرح بلّوري، بديكٍ ذهبي يصيح كلّ صباح فوق برج. كلّ هذه المقاتن ستكون مألوفةً سلفاً للزائر الذي شاهدها أيضاً في مدن أخرى. ولكن الخاصّية المميّزة لهذه المدينة بالنسبة إلى المرء الذي يصل إليها ذات أمسية من أماسي أيلول/ سبتمبر، حينما تتقاصر النهاراتُ وتُضاء المصابيحُ المتعدّدة الألوان كلّها دفعةً واحدة عند أبواب جواسق الطعام، ويصرخ صوتُ امرأة من سطح بيت: «أووه...»، هو شعوره بالحسد تجاه الذين يعتقدون الآن أنهم عاشوا مرّة، من قبلُ، أمسيةً تُماثل هذه، والذين يعتقدون أنهم كانوا سعداء آنذاك.

مدن وذاكرة (2)

حين يرتحل إنسانٌ زمناً طويلاً راكباً عبر مناطق برّية، يشعر بالرغبة بمدينة. وفي نهاية المطاف يصل إلى إيسيدورا، مدينة حيث للمباني سلالمُ لولبية ملتسة بقشرة من أصداف بحرية لولبية، حيث تُصنع المناظيرُ المقرّبة والكماناتُ المتقنة، حيث يواجه الأجنبيُّ المتحيّرُ بين امرأتين ثالثةٌ دائماً، حيث ينحدر غرالُ الدبكة إلى مشاجراتٍ دموية بين المتراهنين. كان يفكّر بكلّ هذه الأشياء عندما رغب بمدينة. لهذا فإن إيسيدورا هي مدينة أحلامه: مع فارق واحد. المدينة المحلوم بها احتوته شاباً؛ وهاهو يصل إلى إيسيدورا في شيخوخته. في الساحة هنالك الجدار حيث يجلس العجائز ويراقبون الشبّان يمرون؛ وهاهو جالسٌ معهم في صفّ واحد. الرغباتُ الآن ذكريات.

مدن ورغبة (1)

هنالك طريقتان لوصف مدينة دوروثا: يمكنك القول إن أربعة أبراج من الألمنيوم ترتفع من أسوارها مطوّقةً سبعةُ أبواب ذات قناطر متحرّكة تعمل بنوابض تمتدّ فوق الخندق الذي تغذّي ماءه أربعُ قنوات خضراء تخترق المدينة، مقسّمةً إيّاها إلى تسعة أحياء، في كلّ واحد منها ثلاثمائة بيت وسبعمائة مدخنة. ومحتفظاً في ذهنك أن الفتيات الصالحات للزواج في كلّ حيّ يتزوجن شبّانَ الأحياء الأخرى وتتبادل عائلاتهنّ السلعَ التي تحتكرها كلّ عائلة. ليمونٌ لصناعة العطور، بطارخُ سمك كافيار، إسطرلابات، أحجارُ الجمشت الكريمة. عندئذٍ يمكنك العمل انطلاقاً من هذه الوقائع، إلى أن تعرف كل شيء ترغب فيه عن المدينة في الماضي والحاضر والمستقبل، أو يمكنك خلاف ذلك القول، مثلما قال الجمّال الذي أخذني الى هناك: «وصلتُ هنا في مطلع شبابي ذات صباح، حيث كان العديدُ من الناس يهرعون إلى السوق قادمين من كل الشوارع. وامتلكتني النساءُ أسناناً جميلة ونظرن في عينيك مباشرة، ونفخ ثلاثة جنود على منصّة بالأبواق. وفي كل جهة دارت عجلاتٌ ورفرفت راياتٌ ملوّنة في الريح. قبل ذلك لم أعرف إلّا الصحراءَ وطرقَ القوافل. في السنوات التالية، عادت عيناي الى تأمّل أمام الصحراء وطرق القوافل؛ ولكنّني أعرف الآن أن هذا الطريقَ ليس إلا واحداً من الطرق العديدة التي انفتحت امامي في ذلك الصباح في دوروثا...».

قبل ذلك لم أعرف إلّا الصحراءَ وطُرق القوافل

إن كان وصفها يوقظ رغبة فيك فلا إجبارك على إخمادها

مدن وذاكرة (3)

ساحاول، عبثاً، يا قُبلاي، يا ذا القلب الكبير، وصف زهرة، مدينة الحصون العالية. يمكنني أن أخبرك كم من الدرجات تجعل الشوارعُ ترتفع مثل السلالم، ودرجةَ انحناء الممرّات المقنطرة، وأي نوع من صفائح الزنك يغطي السطوح؛ ولكنّني أعرف مقدّماً أن هذا سيكون كما لو أنّني لا أخبرك بشيء. المدينةُ لا تتكوّن من هذا، بل من العلاقات بين قياسات فضائها وأحداث ماضيها: ارتفاعُ عمود نور والمسافة بين الأرض وقدمين من كل الشوارع، وامتلكتني النساءُ أسناناً جميلة ونظرن في عينيك مباشرة، ونفخ ثلاثة جنود على منصّة بالأبواق، وفي كل جهة دارت عجلاتٌ ورفرفت راياتٌ ملوّنة في الريح. قبل ذلك لم أعرف إلّا الصحراءَ وطرقَ القوافل. في السنوات التالية، عادت عيناي الى تأمّل أمام الصحراء وطرق القوافل؛ ولكنّني أعرف الآن أن هذا الطريقَ ليس إلا واحداً من الطرق العديدة التي انفتحت امامي في ذلك الصباح في دوروثا...».

في صحبة كالفينو

ليس كتاب «مدن غير مرئية»، الذي ننشر هنا قسما أوّل منه، العمل الوحيد لإيتالو كالفينو الذي ينقله محمّد الاسعد (الصورة) الى العربية، إذ سبق ان عرّب للكاتب الإيطالي سلسلة محاضرات صدرت عام 1999 بعنوان «ستّ وصايا للألفية القادمة». إلى جانب تجربته في الشعر والرواية، لقّط في رصيد الاسعد العديد من الترجمات البارزة، من آخرها ترجمته لرواية «الشياطين» لدوستويفسكي، التي صدرت قبل اسابيع من رحيله (1944 ـ 2021).

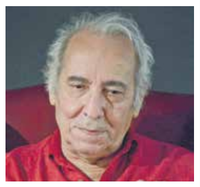

قراءة

غانيات بيروت عودة إلى مشاغل الطبقة المتوسّطة

لبنان ما قبل السقوط

في روايتها الصادرة عن «دار النهضة اللبنانية»، تعود لينة كريدية الى تلك المرحلة المزدهرة من تاريخ لبنان الحديث: لبنان التعدّد، ولبنان بيروت قبل كلّ شيء

عباس بيضون

الآن نفكّر ببيروت على أنها تجربة انتهت أو تكاد. ما كان نمطاً للحياة وطريقة عيش أو ثقافة مجتمع على حافّة الزوال، إن لم يكن جزءٌ كبير منه زال فعلاً. بيروت هي اسم آخر للبنان، وهي بالتأكيد عنوان ما كان تجربة فريدة في المنطقة. تميّزها الظاهر كان يستفزّ المنطقة أو يجتلب احتفالاً وانبهاراً بها. كانت بيروت، ولبنان من ورائها، هي المثال والنموذج بقدر ما كانت الشيطانَ والآخر المرفوض.

يمكن القول إن لبنان وحده، قبل سقوط فلسطين أو بعده، بلد غير إسلامي. لا لأنه، فحسب، بلد يضمّ أقلّية مسيحية وازنة بالإضافة للأغلبية المسلمة، بل لأنه البلد الذي تشكّل الأقلّية المسيحية فيه ركنه ومصدر نموذجه ومشروعه، بحيث يبدو نموذجه متّصلاً، في الأساس، بوجود هذه الأقلية وتطوّرها وموقعها. ما كان موسوماً به من التوسّط بين المنطقة والخارج الغربي، وما يبدو كذلك مجاورة ثقافية للغرب في المنطقة، وما استتبعه من نظام سياسي متعدد ومن اقتصاد للخدمات، لم يكن لولا ما جرّته تطورات المنطقة، من احتلال فلسطين واكتشاف النفط وقيام أنظمة عسكرية على رأسمالية الدولة التي جرّت خروج رساميل البلدان المحيطة، ونشوء اقتصاد خدمات قوي في لبنان.

يمكننا لذلك أن نتحدّث عن مرحلة زاهرة في تاريخ لبنان، كانت مع ذلك قصيرة، إذ ساهمت الحروب الأهلية المتوالية في تقصيرها، كما ساهم نشوء اقتصاد موازٍ في دول النفط خصوصاً، وتطوّرات المنطقة في إعاقتها، بحيث إننا الآن على وشك انهيارها. إذا كان الاقتصاد قد تغيّر إلى أمد غير منظور، فإن النظام الثقافة تتلقّى نتائج هذا الانهيار، وإن تكن ملامح ذلك لم تتجلّ.

هذه المقدمة قد تكون ضافية، وقد تكون أكثر مما يجب لتقديم رواية لينة كريدية التي صدرت عن «دار النهضة اللبنانية»، دار كريدية التي هي أيضاً ناشرة، بعنوان «غانيات بيروت». الرواية لا تحمل في عنوانها فقط اسم بيروت، بل كما يدلّ عنوانها، رواية دعارة. يمكن القول إن رجال الرواية هم الداعرون أكثر مما هن نساء الرواية. لكنّ ما يسم نساء الرواية، غالبيتهنّ على الأقل، هو الفتنة والجمال. هنا نفهم أنهنّ غانيات لا لممارستهنّ الدعارة، لكن لاعتدادهنّ بجمالهنّ، واحياناً لتسويقهنّ إياه، واعتبارهنّ له امتيازاً يمكن الاعتماد عليه في طلب العيش وبناء المستقبل. يمكن أن نفهم من ذلك أنّ الدعارة ليست هي المقصودة بتسمية «غانيات»، وإنما الاعتداد بالجمال والاتجار به هما ما يجعلانها تستحقّ هذه التسمية. نعود إذاً إلى لبنان الزاهر، لبنان الخدمات والسياحة والتعدّد، لكنّه أيضاً ليس لبنان الأجانب من عرب وغير عرب، كما يمارسون القوادة. الرواية ليست، إذاً، تصدر بتوافق مع الانهيار الحالي، ومن الطبيعي أن ترِدَ، على نحو ما، إليه. لكن الرواية، كما ينمّ عنوانها المفاجئ، ترِدُ القرّاء إلى غير زمن صدورها. العنوان يحمل تلميحاً نقديّاً، لكن لا ندري مع ذلك إذا كان سلبياً أو إيجابياً. الغانيات اسم آخر لبائعات اللذّة أو المومسات، واستدعاء هذا الاسم في الرجوع إلى المرحلة اللبنانية الزاهرة قد يبدو، لأوّل وهلة، وصمة، نفهم مرجعها. فلبنان، البلد غير الإسلامي، كان لفترة موصوماً، في نظر المحيط الإسلامي، بما يوصم به الغرب، أي الحرّية الجنسية وما يستتبع ذلك من إباحة تصل إلى حد الدعارة، رغم أن ذلك لم يكن خاصّية لبنانية، إذ تُشارك فيه أقطار عربية أخرى، إلّا أنه كان، في قراءته، تشهيراً بما اعتُبر مظهراً غربياً غير إسلامي لبيروت ولبنان. إنه وصمة بالدرجة الأولى.

بيد أننا في رواية لينة كريدية لا نشعر بأنه كذلك. ليست الدعارة موضوع رواية كريدية كما يستشفّ من عنوانها، إذ إننا نجد قلّة من نساء الرواية تمارس الدعارة، وقلّة من رجال الرواية أنه ليس لبنان الوافد من الجنوب ومن الأطراف. إنها بيروت التي تستحقّ اسمها، بيروت البيارتة العريقين، البيارتة الأصلاء إذا جازت التسمية، البيارتة الذين كانوا يصعدون مع بيروت التي، في صعودها، اختزلت لبنان.

إنهم البيارتة الأصلاء، لكنهم أيضاً الطبقة الصاعدة في لبنان كله، الطبقة المتوسّطة لكن الصاعدة إلى فوق، الطبقة التي هي التجّار، لكنها أيضاً أصحاب الشركات، وهي في الوقت نفسه طبقة الصحافيين والأدباء والأطباء وأساتذة الجامعة. لكلّ من هؤلاء قصّته بحيث تستحيل الرواية إلى لمام من القصص القصيرة، وبحيث نجد فيها الصعود اللبناني، الذي ينبغي، أو نحن مضطرّون إلى ذلك، أن نقارنه باليوم الراهن الذي يطل من خارج الرواية، لكن في موازاتها، بحيث نقرأ رواية ونحن نرى خارجها بيروت اليوم، وبحيث تستحيل قراءتنا قراءة مزدوجة. بيروت وما وراء بيروت وما أمامها.

نساء الرواية يعتمدن على جمالهن لطلب العيش وبناء المستقبل

(شاعر وروائي من لبنان)

لينة كريدية في «المعرض الدولي للنشر والكتاب» بالدار البيضاء، 2019

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

متابعة

معرض الجزائر الدولي للكتاب في دوّامة التأجيلات

ليس في كانون الثاني

بعد بضعة أيّام من الإعلان عن تنظيمه مطلع العام المقبل، جرى استبدال مدير المعرض والإعلان عن تأجيل التظاهُرة مجدّداً إلى أجل غير مسمّى

الجزائر ـ محمد علاوة حاجي

قبل أيام قليلة، نقلت وسائل إعلام جزائرية عن مدير «معرض الجزائر الدولي للكتاب» حكيم ميلود، خبر إقامة الدورة الخامسة والعشرين من «معرض الجزائر الدولي للكتاب» بين السادس والخامس عشر من كانون الثاني/ يناير المقبل، بعد إلغاء التظاهُرة - التي جرت العادة أن تُنظَّم بين تشرين الأول/ أكتوبر وبداية تشرين الثاني/ نوفمبر من كل سنة، لسنتَين متتاليتَين - بسبب الظروف المرتبطة بجائحة كورونا.

لم يُوضّح ميلود إنْ كان التاريخ الجديد سيُعتمَد موعداً قاراً لتنظيم المعرض في السنوات المقبلة، مكتفياً بالقول إنّ هذا الموعد يأخذ بعين الاعتبار «خريطة معارض الكتاب الدولية»، في إشارة إلى أنّ هذه الفترة لا تشهد تنظيم معارض كتاب دولية أخرى، ما يعني إتاحة الفرصة لدور النشر العربية والأجنبية للمشاركة في معرض الجزائر.

لم تمرّ سوى بضعة أيام على التصريحات حتى جرى تعيين محمّد إيقرب مديراً جديداً للمعرض، خلفاً لحكيم ميلود. ولعلّ من أبرز ما حمله المدير الجديد/ القديم (سبق أن تولّى المنصب نفسه عام 2019) في جعبته من قرارات هو تأجيل تنظيم المعرض مرّةً أخرى؛ إذ أعلن عن القرار في تصريح لصحيفة «الشعب» الجزائرية، الخميس الماضي، مبرّراً ذلك بضيق الوقت: «لا يمكن التحضير لمعرض دولي للكتاب خلال فترة وجيزة، فالتحضير الجيّد له يتطلّب الوقت الكافي».

لم يكشف إيقرب عن موعد تنظيم الدورة الخامسة والعشرين التي أُلغيت العام الماضي وهذا العام أيضاً بسبب انتشار فيروس كورونا. غير أنّه أشار إلى أنّ إدارته «تعقد، حالياً، مشاورات مع الناشرين ووزارة الثقافة بغية ترتيب الوضع لتنظيم معرض ناجح».

وكان الكشف عن تنظيم التظاهرة في كانون الثاني/ يناير المقبل، والذي جرى عبر تصريحات صحافية ومراسلات لدور النشر وليس من خلال إعلان رسمي، قد أثار تحفّظات العديد من الناشرين الجزائريين، بسبب تزامُن التاريخ مع انقضاء العطلة الشتوية، وهو ما مِن شأنه، بحسبهم، أن يحرم كثيرين من زيارة المعرض الذي انطلقت دورته الأولى عام 1996.

ليست هذه المرّة الأولى التي يُعلن فيها عن تأريخ لتنظيم المعرض ثمّ يجرى التراجُع عنه؛ ففي مطلع نيسان/ إبريل الماضي، أعلنت وزيرة الثقافة السابقة مليكة بن دودة، خلال افتتاحها مقرّ «المكتبة الوطنية» السابق في مدينة الجزائر، عن تنظيم الدورة الخامسة والعشرين في تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، مؤكّدةً أنه سيُقام، وعلى غير العادة، على مدار أكثر مِن عشرة أيّام، وسيتضمّن «برنامجاً ثقافياً ثريّاً ولقاءاتٍ دولية في مستوى هذا الحدث الكبير».

وقبل ذلك، أعلنت وزارة الثقافة، في آب/ أغسطس من العام الماضي، أنّ المعرض سيُقام في موعده المعتاد (بين تشرين الأوّل/ أكتوبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 2020)، لكن بشكلٍ افتراضي، غير أنّ ذلك لم يحدُث أيضاً.

يُبرّر القائمون على المعرض قرار تأجيله مرّة أخرى بضيق الوقت

من دورة سابقة

فعاليات

يُقدّم عند السابعة والنصف من مساء السبت المقبل، على خشبة «المسرح البلدي» في مدينة سوسة التونسية، عرض **قماري**، من إخراج **هيفاء اليحياوي**، ويؤدّيه الفنّان **مكرم الانصاري**. يتضمّن العرض مجموعة من المقطوعات التي تنتمي إلى طرب الآلة وتراث المالوف والغناء الاندلسي من موشّحات وزجل.

حتى مطلع العام المقبل، يتواصل في «متحف أشموليان» بـ«جامعة أكسفورد» البريطانية معرض **طوكيو: الفن والتصوير الفوتوغرافي**، الذي افتُتح نهاية تموز/ يوليو الماضي. يضيء المعرض حوالي أربعمائة عام من تاريخ الفن في اليابان، وذلك منذ تأسيس نظام توكوغاوا في القرن السابع عشر وظهور أولى المدارس الفنية، وصولاً إلى واقع الفنون والتصوير والتصميم اليوم.

تنطلق الاحد المقبل الدورة الثالثة من **ملتقى القاهرة الدولي للمسرح الجامعي** في العاصمة المصرية، وتتواصل حتى نهاية الشهر الجاري. في البرنامج ورشٌ منها واحدة في التعبير الجسدي تديرها الفنانة المغربية **لطيفة احرار** (الصورة)، واخرى في مسرح البانتومايم تقدمها الفنانة اليابانية نيسا نيشيكاوا.

تُعرض عند السابعة من مساء اليوم، على خشبة «مسرح القصبة» في رام الله، مسرحية **حكاية زهرة**، من إعداد **ماثيو سبانغلير** وإخراج **رائدة غزالة**. يشارك في العرض، الذي يتناول قصة امرأة تواجه وحشية الحرب الأهلية اللبنانية في سنوات الأولى، كلٌّ من **إيمان عون** و**محمد الباش** و**ياسمين شلالدة** و**ميلاد قنيبي**.